[149] إستعمل في رفع الغمّ والحزن والإبتلاءات وكأنّ هذه الاُمور تمثّل حجباً على روح الإنسان وجسمه وتُرفع من قبل الإنسان وغيره . النور الوهّاج في الظلمات في الآية الخامسة والأخيرة التي نبحثها نواجه محتوى الآيات السابقة نفسه ولكن في إطار جديد وجميل حيث تقول : (قُلْ مَنْ يُنجّيكُمْ مِنْ ظُلُماتِ البرّ والبَحرِ تَدْعُونَهُ تَضَرّعاً وَخفْيَةً) في هذه الحالة تنأى عنكم المعبودات المزيّفة وتلجأون إلى لطف ا وحده وتقولون : (لَئِنْ أَنْجانا مِنْ هذهِ لَنكُونَنّ مِنَ الشاكِرِينَ) . والتعبير بـ " ظلمات البرّ والبحر " تعبير جميل يمكن أن يكون إشارة إلى الظلام الظاهري الذي يحدث في الليل أو عند هبوب الأعاصير والرياح المغبرة وعند ظهور السحب السوداء في السماء ، وهذا الظلام مرعب ومخيف وخاصّة إذا كان في البحر والصحراء ، أو حصول الخوف من هجوم الحيوانات الوحشية في الصحراء . ويمكن أن يكون له ـ كما ذكر ذلك بعض المفسّرين ـ معنى كنائي فيشمل المشكلات والشدائد والآلام(1). كما يحتمل تضمّن الآية الظلامين : الظلام الظاهري الذي يفرض الوحشة على الإنسان والظلام المعنوي الموحش المؤلم أيضاً ، وعلى كلّ حال فإنّ هذه الآلام تحصل في الأسفار غالباً ، والآية تقصد هذا المعنى أيضاً . والتعبير بـ " تضرّعاً وخفية " تعبير جميل أيضاً لأنّ (التضرّع) يعني الدعاء والطلب الصريح وإظهار التذلّل(2)، في حين تشير (خفية) إلى الدعاء الكامن في أعماق القلب ، ويحتمل أن يقصد التعبيران الحالتين في الإنسان ، حيث

_____

1 ـ تفسير الميزان : ج7 ، ص136 وتفسير في ظلال القرآن : ج3 ص269 . 2 ـ الراغب : تضرّع : أظهر الضراعة .